أثر التكافل والضمان الاجتماعي الخيري في الاستقرار الأمني

تعريف التكافل الاجتماعي:

يُعد التكافل الاجتماعي من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع في الإسلام و التي تضمن سعادته و بقاءه في إطار من المودة و الأمن و الوحدة و السلام. و المعنى اللغوي للتكافل هو الانضمام و هي "ضم ذمة إلى ذمة لتتقوى إحداهما بهذا الضم". و بالمعنى المبسط أن كل فرد قادر من أفراد المجتمع يتعين عليه عون أخيه المحتاج حتى يضمن له على الأقل المستوى الأدنى من الحياة الكريمة و ضمان وجود الاحتياجات الأساسية و ذلك لجميع أفراد المجتمع دون التفرقة بين ديانة أو جنسية .١ و التكافل لا يعني فقط الشعور بالتعاطف السلبي و الوقوف عند هذا الحد و لكن يجب أن يصاحبه الفعل الإيجابي .٢ و قد أكد العلماء أن التكافل الاجتماعي ينقسم إلى قسمين: قسما ماديا و قسما معنويا. فالقسم المادي هو المساعدة المادية بالأموال كي ينقل المحتاج من حالة الفقر إلى "حد الكفاية" أو "حد الغنى". كما قال سيدنا عمر بن الخطاب، "إذا أعطيتم فأغنوا" و كما قال سيدنا علي بن أبي طالب "إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم" ٣. أما التكافل المعنوي فيأتي في صور أخرى كثيرة لأن احتياج الإنسان لا يقتصر فقط على الاحتياجات المادية و لكنه يتضمن أشكالا أخرى مثل النصيحة، الصداقة، الود، التعليم، المواساة في الأحزان، و غيرهم الكثير من أشكال العطاء .

تعريف الضمان الاجتماعي في الإسلام

و قد أوضح العلماء أنه يوجد فرق في المعنى بين كلمتي التكافل الاجتماعي و الضمان الاجتماعي رغم تشابههما. فالضمان الاجتماعي هو التزام الحاكم نحو رعيته أو باللغة المعاصرة التزام الحكومة نحو شعبها. فالسلطة يجب أن تحرص على إبقاء الحد الأدنى من المعيشة اللائقة للشعب و توفير المساعدة لكل من يحتاج إليها.٥

التكافل الاجتماعي في الإسلام لتحقيق الرخاء في المجتمع

لقد ظهر مفهوم التكافل الاجتماعي في كثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية. يقول الله تعالى في قرآنه الكريم "إنما المؤمنون إخوة" [سورة الحجرات، آية ١٠] كما يقول {و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض} [سورة التوبة، آية ٧١]. كما ورد في السنة الكثير من الأحاديث التي تحث المسلمين على

التآخي و الإيثار من أجل الآخرين. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" و قوله "مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى". و أيضا قوله صلى الله عليه و سلم، "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".٦

و لقد أوضح الإسلام أن المال الذي وهبه الله لعباده ليس ملكا خاصا لهم و إنما هو ملك لله. و ذلك يستدعي أن المسلم لا ينفق المال فقط كما تلهمه أهواءه و إنما يكون الإنفاق حسب التعاليم التي أتى بها الله تعالى. فالإسلام يوضح أن الكون كله بمن عليه هو ملك لله و ليس للبشر. فلقد قال الله تعالى {ولله ملك السموات و الأرض} و أيضا {و آتوهم من مال الله الذي آتاكم}. و كون المال ملك لله، فهو أمانة في يد الإنسان إلى أن يسأل عليه يوم القيامة. و من أهم الأساسيات التي حث عليها الله تعالى في جميع رسالاته هو الإنفاق في سبيل الله. فلقد قال الله تعالى في قرآنه الكريم، {ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، و من يبخل فإنما يبخل عن نفسه، و الله الغني و أنتم الفقراء و إن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} [سورة محمد، آية ٣٨]. كما يقول تعالى {و لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة} [سورة آل عمران، آية ١٨٠]. ٧ و قد وصل إلزام الإسلام على المسلم أن يعطي لأخيه المحتاج إلى الحد أنه إذا لم تكفي الزكاة و الصدقات، فعلى المجتمع ككل أن يشارك بعضه بعضا في الكفاف. كما قال الله تعالى، { كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم} [سورة الحشر، آية ٧]. كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، "ليس بمؤمن من بات شبعان و جاره جائع إلى جنبه و هو يعلم"، كما قال، "أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا، فقد برئت منهم ذمة الله و رسوله". أما سيدنا عمر ين الخطاب فلقد قال، "إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تآسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف".٨

من ثم نجد أن التكافل الاجتماعي هو حق أساسي من حقوق الإنسان التي كفلها الله تعالى لعباده منذ أربعة عشر قرنا. فنجد أن حق الإنسان في حياة كريمة هو من القواعد الثابتة في المنهج الإسلامي و ليس فقط نتيجة تجارب إنسانية ظهرت مع تقدم النظم السياسية و الاقتصادية كما حدث في العالم الغربي في القرن العشرين.٩ و لقد أوجد الإسلام وسائل عديدة للمسلم لكي يتحقق التكافل الاجتماعي منها الزكاة، الصدقات، الوقف و يعد صدقة جارية، الديات، الكفارات، و النذور. و هناك بعض المقترحات من

بعض المفكرين التي قد نبدأ بها في المرحلة الحالية كمحاولات لتحقيق التكافل الاجتماعي، و منها التكافل العائلي و يعنى به أن العائلة تقوم بصندوق للتكافل الاجتماعي تعين به الأسر الفقيرة في العائلة كأن تعطي لهم راتب شهري أو مبلغ من المال لبداية مشروع أو إسعاف مريض. أيضا من المقترحات إنشاء لجان التكافل الاجتماعي في الأحياء لكي يساعد أغنياء الحي الفقير و المسكين و اليتيم منهم بصورة منظمة.١٠ ومن الضروري توريث أسس التكافل الاجتماعي عبر الاجيال.

الزكاة كوسيلة للضمان الاجتماعي:

تلعب الزكاة دورا هاما لتحقيق الضمان الاجتماعي. و هي كما وصفها الكثير من العلماء مؤسسة الضمان الاجتماعي، حيث أنها إلزامية و لها مصارفها و قيمتها المحددة. و لقد نجحت الزكاة في العصور الإسلامية السابقة كمؤسسة، متمثلة في بيت المال و الذي كان من مسؤوليات الحاكم، في تحقيق أهدافها في الإسهام بشكل كبير في تحقيق التنمية الاقتصادية. و قد أوضح ذلك د. ناصح علوان في التكافل الاجتماعي في الإسلام قائلا، "لا يخفى أن مبدأ الزكاة حين طبق في العصور الإسلامية السالفة نجح في محاربة الفقر، و أقام التكافل الاجتماعي، و نزع من القلوب حقد الفقراء على الأغنياء ... و عود المؤمنين على البذل و السخاء و هيأ سبل العمل لمن لا يجد مال".١١ و يتضح من هذا أن الزكاة لم تكن فقط مجرد إعطاء بعض من المال لإطعام الفقراء، إنما كانت وسيلة حقيقية للقضاء على الفقر و ذلك عن طريق توفير فرص عمل مثل أن يعطى الشاب الفقير رأس مال كي يبدأ تجارة و أن يشتري آلة لحرفة يعلمها. من هنا نجد أن الزكاة أداة من أدوات التنمية و القضاء الفعلي على الفقر.

و قد ضرب الخلفاء عمر بن الخطاب و عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما أروع الأمثلة التي أوضحت كيف أن الحاكم الصالح قادر أن يحقق العدل و الرخاء لأمته من خلال الأمانة و العدالة الفائقة في توزيع أموال الأمة. فلقد قال الخليفة عمر بن الخطاب في عام الرمادة و هو عام المجاعة، "و الله الذي لا إله إلا هو، ما أحد إلا و له في هذا المال حق أعطيه أو أمنعه، و ما أحد أحق به من أحد، و ما أنا فيه إلا كأحدكم ... و الله لئن بقيت، ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من المال و هو يرعى مكانه".١٣ أما في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، فلقد محي الفقر و حل محله الغنى في جميع أنحاء الأمة، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. فعن سهيل بن أبي صالح، كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن و هو بالعراق أن أخرج إليهم أعطياتهم فكتب إليه عبد الحميد: أني قد أخرجت للناس أعطياتهم و قد بقي في بيت المال مال.

فكتب إليه: أنظر من أدان في غير سفه و لا سرف فاقض عنه، فكتب إليه: أني قد قضيت عنهم و بقى في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه: أنظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه و أصدق عنه، فكتب إليه: أني قد زوجت كل من وجدت و قد بقى في بيت مال المسلمين مال، فكتب إليه بعد مخرج هذا: أنظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه، فإنا لا نريدهم لعام أو لعامين".١٤

و لقد أكد الإسلام على ضرورة مراعاة الحاكم لرعاياه بتحري الحق و العدل و تحقيق العدالة الاجتماعية و التكافل الاجتماعي. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه و سلم قال، "ما من أمير عشيرة إلا يؤتى يوم القيامة مغلولا لا يفكه إلا العدل". كما قال عليه الصلاة و السلام، "ما من عبد يسترعيه الله عز و جل رعية، يموت يوم يموت و هو غاش رعيته إلا حرم الله عليه الجنة".١٥

و من هنا، يجب على كل مسلم و مسلمة أن يعلموا أن الأمة كلها أفرادا كانت أم حكومات عليها مسؤولية كبيرة للخروج من أزمة الفقر و الفساد و عدم المساواة التي يعاني منها الملايين من المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي. و علينا أن نبدأ بأنفسنا بأن نعمل و نشجع بعضنا البعض لتحقيق التكافل بين المجتمع كي نبرأ أنفسنا أمام الله تعالى يوم القيامة بأن أعطينا و عدلنا قدر ما استطعنا و هذا أضعف الإيمان.

ب ـ الوسائل الفردية التطوعية

وإذا كان الإسلام قد أرسى وسائل إلزامية للتكافل فإنه أيضا فتح الباب أمام التطوع وذلك من خلال تشريعه لوسائل التكافل الطوعية والتي منها :

١ ـ الوقف

فقد شرع الإسلام الوقف وجعله من أفضل الأعمال وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له

ومعنى الوقف أن يتبرع المسلم بعين تبقى لمدة من الزمن لجهة معينة شريطة عدم التصرف في العين مع الاستفادة من منافعها وغلاتها وذلك كعمارة سكنية أو استثمار أو أرض زراعية أو غير ذلك . وقد عرف

الوقف في التاريخ الإسلامي بكثرته وتنوع مصادره وتعدد أهدافه وجهاته حيث شكل مرفقا حيويا للمجتمع يقوم حتى اليوم بالوظائف العامة والأمن والرعاية الاجتماعية للفئات المحتاجة .

٢ـ الوصية :

وهي أن يوصي الشخص عند موته بنسبة من ماله لشخص معين أو جهة معينة أو جماعة من الناس بأعيانهم أو بأوصافهم أو أي جهة من جهات الخير .

وقد رغب الإسلام في الوصية ، قال الله تعالى : كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند موتكم

إلا أن الإسلام وازن بين حقوق الورثة والموصى إليهم حيث منع الوصية بأكثر من الثلث اعتبارا لحق الورثة ومراعاة لظروفهم بعد الميت وقد سأل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سعد بن أبي وقاص سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إني رجل ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأوصي بثلثي مالي ؟ قال : لا ، الثلث والثلث كثير . إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)

٣ـ العارية :

وهي تمكين الشخص غيره من استخدام وسائله مجانا شريطة أن يردها له . وقد حث الإسلام على هذا الأسلوب من التعاون والتكافل لما له من آثار إيجابية وبناءة في غرس المحبة بين أفراد المجتمع وفي تقوية العلاقات الاجتماعية وإقامتها على المشاركة والتعاون ، وأنكر على من يمنع هذا الحق ما دام لا يلحق به ضرر وقرنه بالتقصير في الصلاة .

والصلاة من أهم أركان الإسلام (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) والماعون لفظ يطلق على الأدوات والوسائل التي تستخدم في مختلف المناشط الحياتية كالآنية والآلات اليدوية . وجعل الإسلام في مقابل هذا الحق وجوب الوفاء بالجميل للمعير برد أدواته إليه مع المحافظة عليها وصيانتها من التلف قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) وقال : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)

٤ ـ الهدية والهبة :

وقد حث الإسلام على تبادل الهدايا ذاكرا دورها في تقوية النسيج الاجتماعي وإشاعة روح الألفة والمودة بين أفراد المجتمع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تهادوا تحابوا

٥ـ النذور والكفارات.

٦ـ الزكاة وصدقة الفطر...

التكافل في الإسلام

معناه أن يكون الأفراد في كفالة جماعتهم ينصر بعضهم بعضًا، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الأفراد ودفع الأضرار عنهم، ثم المحافظة على البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا) رواه مسلم.

أنواعه

إن مفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام واسع، لا يقتصر على الجانب المادي، بل يشمل أنواعًا كثيرة مختلفة منها:

التكافل الأدبي.

وهو أن يشعر الإنسان باحترام الآخرين له وحبه لهم، والتعاون معهم في جميع المجالات، وقد دعا النبي [3] إلى هذا في أحاديث كثيرة. منها قوله [3]: (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه أحمد والبخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

وقال أيضا:

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه البخاري ومسلم.

التكافل الدفاعي.

وهو مسؤولية الأفراد عن مستقبل أمتهم ووطنهم ،كما يجب على كل فرد في المجتمع الإسلامي، أن يساهم في الدفاع عن بلاده ضدالأعداء، قال تعالى:

﴿انفروا خفافًا وثقالا﴾ التوبة: ٤١.

وقرر الفقهاء أن العدو إذا استطاع أن يأسر مسلمًا في أقصى الشرق، فعلى المسلمين جميعًا أن يهبوا للدفاع عن هذا الأسير لتخليصه من الأسر.

التكافل الجنائي.

ويتمثل في أن الإسلام أوجب الدِّية في القتل الخطأ على العشيرة، والأصل أن تَبعة جناية الشخص تقع على نفسه. لكن القاتل هنا في حالة القتل الخطأ لا يُسأل، لأن سوء النية وقصد القتل لم يتوفرا. ولايمكن أن يُهدر دم المقتول في جميع الظروف، فكانت المصلحة أن تشترك عشيرة القاتل في دفع الدية عنه تكافلاً وتضامنًا.

التكافل الأخلاقي.

وهو مسؤولية المجتمع الإسلامي بجميع أفراده عما يصدر من هؤلاء الأفراد من تصرفات تسيء إلى المجتمع وقيمه ومقدساته، ولذا أوجب الإسلام على الجميع أن يكونوا حراسًا على المجتمع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال رسول الله [3]: (من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم.

وقال [3]: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا) رواه البخاري والترمذي واللفظ للبخاري.

التكافل الاقتصادي.

وهو أن يشعر الأفراد بواجبهم نحو أفراد مجتمعهم، فلا يقْدِمون على التصرفات التي قد تلحق الضرر بالناس كالغش في المعاملات، والتطفيف في الكيل، واحتكار الأقوات الضرورية التي يحتاج إليها الناس،

واستغلال حاجة المحتاجين لإجبارهم على التعامل بالربا، وغير ذلك من التصرفات التي حرَّمها الإسلام، لأنها تُلحق أضرارًا كبيرة بالناس. كما يوجب هذا النوع من التكافل أن تتدخل الدولة عند الحاجة فتمنع كل تصرف يلحق الضرر بالناس، كما يجب عليها التدخل في الأسواق عند الحاجة لتحديد الأسعار.

التكافل المعيشي والمادي.

ويتمثل في الحقوق التي فرضتها الشريعة الإسلامية للفقراء والمحتاجين في أموال الأغنياء، ويشمل هذا الجانب: الزكاة والنذور والأضحية والكفارات والصدقات. كما يتحقق هذا الجانب بما هو مشروع على سبيل التطوع كالوقف والوصية والهبة والعارية.

TM

المبحث الثالث: الفئات التي تستحق التكافل المعيشي.

أولاً: كفالة اليتيم.

اليتيم في اللغة: مِنَ اليُتم، وهو الانفراد وفقدان الأب(٤٦).

وفي الشرع: (هو من مات أبوه وتركه صغيراً، وهو ضعيف يحتاج إلى رعاية وكفالة)(٤٧).

والإسلام اهتم باليتيم اهتماماً بالغاً، من ناحية تربيته، ومعاملته والحرص على أمواله وضمان معيشته حتى ينشأ عضواً بارزاً في المجتمع، ويقوم بمسؤولياته على أحسن وجه.

فمن اهتمام القرآن الكريم بشأن اليتيم، عدم قهره، والحط من كرامته، والغض من شأنه، قال تعالى:

(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ)(٤٨)، **وقال تعالى**: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّب بِالدِّين فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ اليَتِيم)(٤٩).

كما أمر الله سبحانه وتعالى بالمحافظة على أموال اليتيم، وعدم الاقتراب منها إلا بالتي هي أحسن، قال تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذكَّرُونَ) (٥٠).

كما نهى عن أكل أموال اليتيم ظلماً: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمَاً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)(٥١).

وأمر الأوصياء أن يردوا أموال اليتيم إن رأى قدرته على تنميتها وحفظها، قال تعالى: (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدَاً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافَاً وَبِدَارَاً أَنْ يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيَّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ..)(٥٢).

ومن اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن اليتيم، إنه رغَّبَ في كفالته، والاهتمام برعايته، وبشّر الأوصياء أنهم سيكونون معه بالجنة.

قال عليه الصلاة والسلام: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»(٥٣) **وأشار بإصبعيه – يعني السبابة والوسطى –**

قال ابن بطال: (حَقٌّ على من سَمِعَ هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، ولا منزلَة في الآخرة أفضل من ذلك)(٥٤).

ورعاية اليتيم وكفالته واجبة في الأصل على ذوي الأرحام والأقرباء، أما الدولة فإنها تلجأ إلى الرعاية عند الحاجة، ويجب على المسلمين أن يتعاونوا فيما بينهم لإقامة دور لرعاية الأيتام، لتشرف المؤسسات الإسلامية على تربيتهم والإنفاق عليهم، ويكون ذلك أبعد لهم عن الانحراف والتشرد والضياع.

من فوائد كفالة اليتيم(٥٥).

صُحبةُ الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة، وكفى بذلك شرفاً وفخراً.

كفالة اليتيم صَدَقَةٌ يضاعف لها الأجر إن كانت على الأقرباء (أجر الصدقة وأجر القرابة).

كفالة اليتيم والإنفاق عليه دليلُ طبع سليم وفطرة نقية.

كفالة اليتيم تعوُد على الكافل بالخير العميم في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

كفالة اليتيم تساهم في بناء مجتمع سليم خالٍ من الحقد والكراهية وتسودُهُ روح المحبة والود.

ثانياً: رعاية اللقيط

اللقيط لغةً: من الالتقاط وهو العثور على الشيء مصادفة من غير طلب ولا قصد واللقيط هو المولود الذي ينبذ(٥٦).

واللقيط شرعاً: هو المولود الذي لا يعرف له أب ولا أم(٥٧)، ويجب على من رآه أن يأخذه إن علم أنه سيهلك إن لم يأخذه، وهذا أمر محمود في الشرع لما فيه من إحياء نفس، وإغاثة إنسان، قال تعالى: (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أحَيَا النَّاسَ جَمِيعاً..)(٥٨).

والإسلام بتشريعه العادل، لم يأخذ اللقيط – إن كان ولد زنى – بجريرة والديه لأن المبدأ العام في الإسلام (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى..)(٥٩).

وقد راعى الإسلام نفسية اللقيط، فأعطاه الحقوق الممنوحة للولد الشرعي دون أن يكون هناك تمييز أو تفريق بينهما، وكفالة ورعاية اللقيط تعود على الدولة فيجب تربية اللقيط، والاهتمام به، وتعليمه، وتسند إليه الوظائف، ويعتبر مسؤولاً عن تصرفاته، وتقبل شهادته، وغيرها من الحقوق والواجبات.

وبهذه المعاملة الحسنة يكون المجتمع قد أعد مواطناً صالحاً، يقوم بواجباته وينهض بأعبائه، فلا يشعر بنقص ولا تتولد عنده العقد النفسية.

ثالثاً: رعاية أصحاب العاهات

(قد يتعرض الإنسان أثناء قيامه بدوره في إعمار هذا الكون لعاهة من العاهات، يفقد على أثرها عضواً من أعضائه، أو حاسة من حواسه، وربما لظروف تتعلق بالحمل والولادة، يولد بعاهة مستديمة كفقد البصر أو السمع، أو تشويه في بعض أعضائه تقلل من عطائه) (٦٠).

ومن أهم الفئات التي أصيبت بعاهات هم:

- العميان.
- الصم والبكم.
- المعتوهون.
- العاجزون بسبب ضعف البنية.
- ذوو العيوب الكلامية والتعتعة.

هؤلاء النمط من العاجزين وأصحاب العاهات، يجب أن يلقوا من المجتمع كل رعاية وعناية واهتمام، تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٦١).

وقوله: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٦٢).

ويجب أن تتظافر جهود المجتمع والدولة في تحقيق التكافل والعيش الأفضل لمثل هؤلاء المحتاجين، حتى يشعروا بالرحمة والتعاون والعطف، وأنّهم محل العناية والاهتمام الكامل في نظر الدولة والمجتمع على السواء.

أما العناية بالعميان والصم والبكم، فيجب أن تتركز بفتح مدارس ومعاهد خاصة بهم، لتعليمهم، وتدريبهم على الحرف اليدوية، وجعل كل الوسائل الإيضاحية والسمعية والبصرية واللمسية تحت تصرفهم ليشعروا بشخصيتهم وكيانهم.

وأما العناية بالمعتوهين فتتركز بتهيئة الجو المناسب لتعليمهم وتربيتهم.

وأما العناية بضعاف البنية وذوي العيوب الكلامية والصرعى وأصحاب الأمراض المزمنة فتتركز في إزالة ضعفهم وعاهاتهم وعيوبهم بالعلاج الناجح، والغذاء الصالح، والوسائل الطبية والصحية اللازمة.

رابعاً: رعاية الشواذ والمنحرفين:

يطلق على الشواذ والمنحرفين (على كل من ينحرف من الأحداث والمراهقين إلى تناول المخدرات، أو السرقة، أو القتل وارتكاب الجرائم) (٦٣).

والشذوذ والانحراف بهذا المعنى عيب اجتماعي خطير يجب معالجته، ويرجع أسباب الانحراف للشذوذ عند المراهقين والشباب إلى أسباب عديدة أهمها سوء التربية وإهمال الوالدين مراقبة أبنائهم، ومنها الصحبة السيئة، ومشاهدة الأفلام الماجنة، ومنها وقوع البغضاء والشحناء بين الأبوين فتنعكس آثارهم عليهم، ومنها معاملة الآباء القاسية لأبنائهم وشدة ظلمهم، وإمساك النفقة عنهم، ومنها اليتم والجهل والفقر.. إلى غير ذلك.

وعلاج الإسلام لظاهرة الشذوذ والانحراف يعتمد على منع أسباب الشذوذ، وإزالة العوامل التي تؤدى إليه.

قال الأستاذ عبد الله علوان: (علاج الشذوذ والانحراف يعتمد على التربية الجيدة والتوجيه المستمر، وإيجاد الجو الصالح، والمناخ الملائم في الرفع من مستواهم مادياً ومعنوياً، ويعتمد على صرف فراغهم في نشاطات نافعة كالرياضة، والرحلات، والمطالعة، والسباحة، والصنائع اليدوية..... وغيرها من الوسائل) (٦٤).

خامساً: رعاية الشيوخ والمطلقات والأرامل:

يُقصد بالشيخ هو من انحدر إلى سن الشيخوخة، وأصبح غير قادر على الكسب والعمل بسبب الضعف والعجز.

والطلاق هو إزالة العلاقة الزوجية حين يتعذر التفاهم والوفاق بين الزوجين.

والتّرمل هو فقدان الزوج بالوفاة، وهؤلاء لا بد لهم من رعاية واهتمام لاسيما إذا كان كل منهم ضيق المال وذو أولاد ، فالمجتمع مسؤول عن رعايتهم ، وهذه الرعاية لا تقتصر على الناحية المادية، بل لابد أن تشمل الناحية النفسية، ليشعر كل منهم بالكرامة وعزة النفس.

سادساً : رعاية المنكوبين والمكروبين:

حثت الشريعة الإسلامية على إغاثة المنكوب، والتفريج عن المكروب، والنصوص القرآنية في ذلك كثيرة، والأحاديث النبوية عديدة.

فمن هذه النصوص قول الله تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٦٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفّس عن مسلم كربةً من كُرَب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٦٦).

(ولا شك أن المجتمع المسلم حين يتربى على هذه المعاني، فإن أفراده ينطلقون في مضمار التعاون الكامل، والتكافل الشامل، والإيثار الكريم ، ويأخذون بيد من إصابته مصيبة في ماله ونفسه) (٦٧).

سابعاً : ابن السبيل:

ابن السبيل هو: (المسافر المنقطع عن ماله وأهله لبعده عنهم ، والسبيل الطريق، وكل من يكون مسافراً على الطريق يقال له ابن السبيل) (٦٨).

(وقد يتعرض ابن السبيل [المسافر] في بعض الأحيان أثناء سفره إلى صعوبات ومشاكل كثيرة، كأن ينقطع به الطرق بانتهاء أمواله التي يحملها لسبب من الأسباب أو غير ذلك من المفاجآت التي كثيراً ما تصادف المسافر، لذلك جعل الدستور الحضاري الإسلامي في ظن أهداف تخفيف وعناء السفر، وألم الغربة على هذه الفئة من أبناء الأمة ممن يضربون في الأرض طلباً للرزق، أو العلم أو الحج، فألزم الدولة والأمة بتوفير الرعاية والحماية لهم حتى ولو كانوا أغنياء) (٦٩).

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنفاق على ابن السبيل يوازي الإنفاق على الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين (يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ)(٧٠).

وبما أن ابن السبيل يكون وحيداً بعيداً عن أسرته وماله وأهله، ربط الله سبحانه وتعالى بينه وبين اليتيم في أكثر من آية، مؤكداً المساواة بينهما في الرعاية والرحمة، وإن الإنفاق على هذه الشريحة هو البر الحق الذي يعبر عن عمق الإيمان (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...)(٧١).

وتبرز أهمية لجان التكافل الاجتماعي للحفاظ على اللحمة وتنفيذا في الوصايا الربانية ووصايا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي قام بهذا العمل واستمر الصحابة رضي الله عنهم للقيام بهذا المنهج العظيم.

فيقوم الجميع بالاستدلال على الأسر والأفراد المحتاجين، والتنسيق مع اللجان الأخرى في عملية صرف الأموال على المحتاجين، وتأمين الموارد المالية لهذه الحالات.

وإنشاء قاعدة للمعلومات تجمع أوجه الصف والمحتاجين للحفاظ على دينهم وأخلاقهم وإنسانيتهم حتى لا يصبحوا عالة على الناس وأيضا لا يتحولوا إلى مجرمين خطرين ضد ا لجميع ويزيد لهم الشيطان أعمالهم.

ثامناً: متابعة المدمنين:

لجان تتابع المدمنين على الخمور والمخدرات وعلاهم علاجاً دينياً وتأهيلهم صحياً ومتابعتهم معنوياً والحفاظ على وحدة أسرهم من الضياع وحتى لا يرجع إلى أصحاب السوء وفتح آفاق التعاون معه حتى يحسن استغلال فراغه، وفتح خط ساخن مع أهله للقيام بعلاجه بسرية تامة والحفاظ على خصوصيات الأسر.

™

تاسعاً: لجان الإصلاح الأسري:

حيث يقوم بعض المختصين من أهل الشريعة وعلم النفس وعلم الإجتماع وعلم التربية بالاستماع إلى مشاكل الأسر لا سيما حديثي عهد زواج أو على وشك الطلاق أو مشاكل مع أبنائهم أو أهل الزوج فيقدمون لهم النصائح.

عاشراً: لجان شؤون السجناء:

حيث يقومون بزيارتهم وتوعيتهم والحرص على توبتهم واشغال فراغهم بما هو نافع والحفاظ على هويتهم الإسلامية.

الحادي عشر: التثقيف المروري:

حيث سجلت حالات وفيات كثيرة بين الشباب فخلال الأربعة اشهر الماضية سجلت الكويت ٤٠٠ حالة وفاة و٧٠٠ أصابة، منهم ١٠٠ في حالة خطر شديد و٥٠عاهة مستديمة ويحتاجون إلى أطراق صناعية وعليها أقاموا مؤتمرات ونشرات وبرامج توعية في الأجهزة الإعلامية المختلفة ومنها المساجد.

الثاني عشر: لجان الاهتمام بالنشئ:

الاهتمام بحملة المستقبل من خلال إيجاد البرامج السنوية والموسمية لهم حتى يوجدوا البيئة الخصبة لهم في التربية والمتابعة والأصدقاء الصالحين، وأثر التعامل داخل وخارج البيت لاسيما مع الوالدين والجيران.

الثالث عشر: دورات منهجية مفيدة

الشباب يبحث دوما عن دورات تفيده في حياته وعمله وتزيد من مصدر رزقه وخبرته فهو يحتاج إلى دورات مثل التمريض والإسعافات الأولية أو السباحة وركوب الخيل واللغات والحوار وإدارة الأعمال والكمبيوتر وغيرها.....

الرابع عشر: لجان تأهيل الزواج:

فهناك من الشباب من لا يعرف حقوقه وواجباته ولا يعرف كيف يتعامل مع المشكلات التي تواجهه ولا يعرف كيف يتحاور مع زوجته وكيف يوفق بين والدية وزوجته وينظم وقته فزادت مشاكل الطلاق بين الأسر ومثل هذه الدورات تقلل من المشاكل واليأس والقنوط بل تفتح أبواب الأمل والتحدي في الاستمرار بصمود وشموخ والعمل في اصلاح البيوت من الداخل، قال تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ).

الخامس عشر: لجان المساعدة في إيجاد السكن الملائم للشباب من تأثيث وترميم وتوفير السكن حتى يتم عملية تسهيل الزواج للشباب والعيش الكريم ولا يسأل الناس أعطوه أو منعوه بل يجد بيوت ولجان الرعاية وهذا باب مشروع من أبواب صرف الزكاة.

السادس عشر: حلقات حفظ القرآن والأحاديث:

من حفظ الله حفظه وأعانه ووفقه وسدد خطاه لأنه سيكون في خير عظيم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) فالاشتغال بالقرآن يجعل الشباب في اقتراب من الرحمن وابتعاد عن الشيطان ويوجد له فرقاء يميز فيه بين الحق والباطل ويشعر بسعادة غامرة وإبداع في حياته.

السابع عشر : تعليم حرفة يدوية

فقد كان داود عليه السلام يكسب من عمل يديه والله سبحانه يحب العبد أن يكسب من عمل يديه فيتعلم حرفة وصناعة يخدم فيها المسلمين وتكون مصدر رزق له ولأسرته ويسد ثغرة من ثغور الإسلام.

الثامن عشر: لجنة الاهتمام بالميت من خلال توفير سيارة إسعاف لنقلة وتعليم كيفية غسله وتكفينه ودفن على السنة لاسيما في بلدان لم توفر لهم الحكومة هذا الحق.

التاسع عشر: الاهتمام بالفلك لمعرفة الأشهر السنين ورصد هلال رمضان والحج والطقس والاهتمام بآيات الله تبارك وتعالى في السماء ليزداد المؤمن إيماناً.

العشرين: الاهتمام بالشباب الذين يتعلمون في الخارج والتواصل معهم عن طريق زيارتهم وإقامة دورات إيمانية لهم والتواصل مع المراكز الرسمية في تلك البلدان للحفاظ على إيمانهم ودينهم.

الحادي والعشرين: لجنة أصدقاء المريض عن طريق زيارتهم والتوعية في الأجر والمثوبة والترغيب في التواصل معهم.

الثاني والعشرون: الاهتمام بالعمالة الوافدة وتقديم العون لهم وإرشادهم للإسلام حتى يدخلوا في دين الله أفواجا وبيان أهمية رابطة الأخوة وكذلك العمل بإخلاص وليكن عنصرا ايجابيا في المجتمع ويعرف حدوده والوقوف معه إذا ما تعرض للظلم (أعطي الأجير أجره قبل أن يجف عرقه).

والحمد لله رب العالمين،

د.بسام خضر الشطي،

رئيس قسم العقيدة والدعوة

كلية الشريعة- جامعة الكويت.